مَبَادِئ الفِكْرِ التَّدَاوليّ فِي تَفْسِيرِ الكَشَّاف للزَّمَخْشَرِي (*)

د/ صلاح محمد أبو الحسن مكي
مدرس العلوم اللغوية بكلية الألسن بالأقصر
جامعة جنوب الوادي

الملخص

هذا بَحثٌ في مجال اللسانيَّات الحديثة يهدف إلى استِجْلاءِ مَبَادِئ الفِكْرِ التَّداوليّ مِنْ خِلال مُدَوَنَةٍ تَفْسيريةٍ قَيِّمَةٍ، هي (الكَشَّاف) لعَالِم لُغويّ ونَحْويّ ومُفسِّرٍ كَبيرٍ هو (أَبُو القَاسِم جَار الله مَحْمود بن عُمَر الزَّمَخْشَري الخوارزميّ) (٤٦٧هـ /٥٣٨هـ)، وهي دِرَاسةٌ تَطبيقيَّةٌ انْتَهَجْتُ فِيهَا المَنْهَجَ التَّداوليّ مُسْتَعِينًا بالوَصْفِ والتَّحْلِيل.

وقد عُقِدَتْ هذه الدِّرَاسَةُ على مُقَدِمةٍ، وتَمْهِيدٍ، وَثَلاثَةِ مَبَاحَثَ، وَخَاتِمَةٍ، جَاءَتْ المُقَدِّمَةُ مُوَضِّحَةً خُطَةَ الدَّراسَةِ، وتَحْدِيد مَنْهَجهَا ؛ أمَّا التَّمْهِيدُ فقَد اشْتَمَلَ عَلَى : نَشْأَةُ التَّداولية في الدَّرَاسَاتِ العَرَبِيَّة ، وَ نَشْأَةُ التَّداولية في الدِّرَاسَاتِ الغَربيَّة، و تَعريفِ التَّداولية، وعَلاقة التَّداوليَّة بالعُلوم الأُخرى، وأمَّا المَبحثُ الأَولُ فقد اشْتَمَلَ: عَلَى دِرَاسةِ الاسْتِلْزَامِ المُحادثي عِنْدَ الزَّمَخْشَرِي، وَأَمَّا المَبْحَثُ الثاني : دِرَاسةُ أَفْعَالِ الكَلامِ عِنْدَ الزَّمَخْشَرِي، وأَمَّا المبحثُ الثالث فَقَد اشْتَمَلَ : عَلَى دِرَاسةِ مُتَضَمِّنَاتِ القَولِ عند الزَّمَخْشَرِي، وأمَّا الخَاتمةُ فَقَد اشْتَمَلتْ عَلَى أَهمِّ النَتَائجِ..

(*) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٧٩) العدد (٤) أبريل ٢٠١٩.

ABSTRACT

This thesis in modern linguistics aims at clarifying the principles of pragmatic ideology through an invaluable declarative study of "Alkashaf" by the great linguist, grammarian and interpreter, Abul-Qasem Jaar-Allah Mahmoud Omar Al-Zamakhshari Al-Khawarezmi (467 AH/ 538 AH). It is a descriptive analytical study of applied pragmatics.

This study consists of an introduction, preface, three chapters and a conclusion. The introduction clarifies the plan of the study, and determines its methodology. The preface includes the origin of pragmatics in Arabic studies and western studies, the definition of pragmatics, and the relation between pragmatics and other sciences. The first chapter tackles Al-Zamakhshari's study of entailment. The second chapter presents Al-Zamakhshari's study of speech acts. The third chapter highlights Al-Zamakhshari's study of conversational implicatures. The conclusion includes the findings of the thesis.

المقدمة:

الحَمْدُ لله ربِّ العَالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين ؛ سَيدِنَا مُحَمَّد وعَلَى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين ؛ وَبَعْدُ،

فإنَّ البَحثَ في مجالِ اللسانيَّات التَّداولية في التراثِ العَربيّ ليسَ تأصيلاً للمفَاهيمِ الموجودةِ في اللسانيات الحديثةِ بقَدْر مَا هو ضروري لبيانِ الامْتدادَات المَعرفية للمُدونةِ العربية، وتَقدِيم جَانبٍ مِن الأفكَار الرَّائدةِ التي تَناولها العُلماءُ العَرب قديما، لا سيَّما أنَّ المنهجَ التَّداوليّ له جُذوره الضاربة في عُمق النظريَّة اللسانية العربية ضِمن كُل ما قيل عن بَلاغة مُقْتَضَى الحَالِ، وسِيَاق المَقَام (١).

فقد بَاتَتْ العَلاقَةُ بين المتخَاطِبين قَائمةً عَلى الحِوار والتَّواصل، فَالخِطاب بينَهُما لا يكونُ إلا لِدَواعٍ وَمَقَاصدَ تحكمُها أُطُرٌ مكَانيةٌ وزَمَانيةٌ،

وظُروفٌ سياقيَّةٌ، لذا جَاء المنهج التَّداوليّ ليكشفَ عن آفاقٍ جديدة في ترسُّم تَنَاول اللغة، فقد أعَاد الاعْتبار للمَعْنى الذي كانَ مُهملاً في البِنيوية ؛، فهو لا ينظرُ لمِخارجَ الأصْوات، و لا لأَوزان الكَلمات، ولا محل إِعْرَابها ؛ بل يُعنى باللغة مِنْ خِلال الاسْتعْمَال، لا كما نجدها في المَعَاجم، ولا كَما تَقْتَرِحُ كُتُب النَّحو التَقْليديَّةِ، كَمَا يسعَى لرسم دَائرةِ الدِّلَالَات بِصُورَةٍ مُوسَّعةٍ ومُنْفَتِحَةٍ، لتشْمَل المُتَكلِّمَ والمُتَلَقِي، وكلَ أَطرافِ الخِطَاب، وَمَقَاصِدَهم، ومُقْتَضَيَاتِ الخِطَاب، فَضْلاً عَنْ الاهتمام بسِيَاقاتِ التَّخَاطُب وَمَقَامَاتِه، بَدَلاً مِنْ التَّركِيز عَلَى العَلاقة بين الدَّال والمَدْلُول(٢).

ويُعدُّ المنَهجَ التَّداوليّ من أهمِ المنَاهج اللسانيَّة الحَدِيثةِ ؛ ذَلك لأَنَّه يَتَنَاول القَضَايا اللُّغَويَّةِ بدقَةٍ وَوضُوحٍ وَشُموليَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ المَنَاهَج القَدِيمةِ، التي تُوقفَتْ عِنْد حُدُودِ وَصْف الصُّورةِ الكِتَابيَّة، مُسْتغنية عنْ كُل مُلابسَاتِ الخِطَاب، وَظُروفِ إِنتَاجَه، والسِّيَاقَاتِ المَقَاميَّةِ التي أنتَجَتْهُ (٣).

لذلك يَرى " ولفنسون " أنَّ ظهورَ المنهجَ التَّداوليّ عَلى مَسْرحِ الدِّراساتِ اللسانيَّة إِن جَاز التعبيرُ كَانَ نتيجةً لمِعَالجة " تشومسكي " للغَةِ بوصفِهَا شيئا تجريديا، مُقْتَصِرًا عَلَى القُدْرةِ الذهنيَّة البَحْتَة، ودِرَاسةِ الجُمَل اللغويَّةِ في مَعْزِلٍ عن المَقَام، أي دُونَمَا اهْتِمَامٍ بالمُرسِلِ، أَو بِالمُرسَلِ إِليه، أَو السِّيَاق (٤).

كَما يُعدُّ المنهج التَّداوليّ اتجاها جَديدًا في دراسةِ العَوامِل اللسانيَّة القديمةِ، والعَوامل غير اللسانيَّة التي تُؤثر بشكلٍ أَسَاسيّ في تَحْدِيد سُبُل تَفْسِير النُّصُوص بِشَكلٍ عامٍ وَالنَّص القُرآنيّ بشكل خاص، وهَذَا أَمْر تعرفُه الثَّقافةُ الإنسانيَّة إذ يُلحظ أنَّ العلماءَ والباحثين فِي العُلوم الإنسانيَّةِ إِنَّما يَسْتَمِدُّون أُصولاً قَديمةً ؛ فينظرون فيها بمَنَاهَجَ حَدَيثَةٍ، وَبُرؤى جَديدةٍ تَتَطَلَّعُ إِلى استِفَادةٍ تَخْدِمُ العَصْرَ، وتُحركُ فَاعليَّة تلك الأُصُولِ مِنْ خِلالِ فُروعِها المُتَولِّدَةِ مِنْهَا.

وقد اهْتَمَّ النَّحْويون القُدمَاءُ بِالمبادئ التي يَعُدُّها المُعَاصرون مِنَ الرَّكائز الأساسيَّة للمنهج التَّداوليّ كالاسْتِلْزَامِ الحُوارِي، وَمُتَضَمِّنَاتِ القَولِ،

وأفعالِ الكَلام، تلك المبادئ التي سأتَتَبَّعُهَا مِنْ خِلالِ تَفْسِيرِ (الكَشَّاف) للعَالِمِ اللُغويّ والنَّحْويّ وَالمُفسِّرِ الكَبِيرِ (أَبُي القَاسِمِ جَارِ اللهِ مَحْمود بن عُمَر الزَّمَخْشَري الخوارزميّ)(٤٦٧ه /٥٣٨ه)، وهي دِرَاسةٌ تَطبيقِيَّةٌ انْتَهَجْتُ فِيهَا المَنْهَجَ الوصفيّ التَّحليليّ، وعَمِلتُ عَلى اسْتِجْلاءِ مَبَادِئ الفِكْرِ التَّداوليّ عنْدَ الزَّمَخْشَري فِي تَفْسِيرِ الكَشَّاف.

وقد عُقِدَتْ هذه الدِّرَاسَةُ على مُقَدِمةٍ، وتَمْهيدٍ، وَثَلاثَةِ مَبَاحَثَ، وَخَاتِمَةٍ، جَاءَتْ المُقَدِّمَةُ مُوَضِّحَةً خُطَةَ الدَّراسَةِ، وتَحْدِيدِ مَنْهَجَهَا ؛ أمَّا التَّمْهيدُ فقَد اشْتَمَلَ عَلَى : نَشْأَةُ التَّدَاولية فِي الدَّرَاسَاتِ العَرَبِيَّة ، وَ نَشْأَةُ التَّداولية في الدِّرَاسَاتِ الغَربيَّة، و تَعريفِ التَّدَاولية، وعَلاقة التَّداوليَّة بالعُلومِ الأُخرى، وأمَّا المَبحثُ الأَولُ فقد اشْتَمَلَ: عَلَى دِرَاسةُ الاسْتِلْزَامِ المُحَادَثي عِنْدَ الزَّمَخْشَرِي، وَأمَّا المَبْحَثُ الثاني : فَقَد اشْتَمَلَ عَلَى دِرَاسةِ أَفْعَالِ الكَلامِ عِنْدَ الزَّمَخْشَرِي، وأَمَّا المبحثُ الثالث فَقَد اشْتَمَلَ :على دِرَاسةِ مُتَضَمِّنَاتِ القَولِ عند الزَّمَخْشَرِي، وأمَّا الخَاتمةُ فَقَد اشْتَمَلتْ عَلَى أَهمِّ النَتَائَجِ.

التَّمْهِيدُ

(أ)- نَشْأَةُ التَّداوليَّةِ في الدِّراسَاتِ العَربيَّةِ:

ظهرت بعض إرهاصات المنهج التداوليّ عند العلماء العرب في وقت مبكر جدًا لا يتجاوز القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ؛ أي قبل تفكير اللسانيين الغربيين في دراسة التداوليَّة بعدة قرون، وكان هذا شأن العرب القدماء في كثير من الدراسات اللغويَّة التي كانوا على وعي بها وإن اختلفوا في مصطلحاتهم ومسمياتهم مع ما جاء به المحدثون الغربيون، كنظرية الحقول الدلالية [٥]، والأسلوبية [٦]، وعلم الإشارات الجسمية [٢]، وغير ذلك، فكثير من المصطلحات قد تجاذبتها الدراسات القديمة والحديثة، وإنْ اختلفت صياغتها إلا أنْ الجوهر يبقى نفسه.

وعن أسبقية العرب القدماء لمعرفة أصول هذا الاتجاه، يقول محمد

سويرتي: إنَّ النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين ؛ مارسوا المنهج التداولي قبل أنْ يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، رؤية واتجاها، أمريكيًا وأوروبيًا، فقد وظَّف العرب القدماء المنهج التداوليّ بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة(٧).

فقد جاءت الدراسات التنظيرية القديمة عند الجاحظ، والسكَّاكي، وابن قتيبة، وحازم القرطاجني، مرتبطة بالأثر والمقام، وتوصلوا إلى نظرية المقاماتية أو المقام، وما يؤكد أسبقية العرب في الدراسات التداولية ما ذكره واحد من اللغويين المحدثين، من أنَّ الفصل السابع من الكتاب الثاني لخطابة أرسطو ؛ وعنوانه ملاءمة الأسلوب أقرب إلى ما يسميه البلاغيون القدماء مطابقة الكلام لمقتضى الحال(٨).

وكان أول ظهور لهذا المصطلح في اللغة العربية في الفترة التي تُرجمت فيها كتب الفلسفة البراجماتية في النصف الأول من القرن العشرين، وقد ترجمه الأستاذ الدكتور دنحا طوبيا كوركيس، في أوائل الستينيات إلى ((الفائداتيَّة))، أو ((الفوائديَّة))، وقد ترجمه غيره إلى ((الذرائعية))، أو ((المقصديّة))، أو ((المقاميّة)) (٩)، ويرجع الفضل في انتشار مصطلح ((التداوليَّة)) بين اللغويين العرب إلى الدكتور طه عبد الرحمن، فهو أول المؤسسين العرب للدرس التداوليّ في العصر الحديث، وهو الذي استعمل مصطلح التداوليّة مقابل المصطلح الأجنبي Pragmatics، وذلك عام ١٩٧٠م، في كتابيه (أصول الحوار وتجديد علم الكلام)، و(اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) (١٠).

(ب)- نَشْأَةُ التَّداوليَّة في الدراساتِ الغربيَّةِ:

المصطلح العلمي لهذه النظرية " Linguistics Pragmatics "، وقد عُرف هذا المصطلح بين الباحثين بلفظ ((Pragmatics)) في اللغة الإنجليزية، و (La Pragmatique) في اللغة الفرنسية، وهما من الأصل اللاتيني ((Pragmaticus))، الذي استخدم عام ١٤٤٠م تقريبا، وهو من

الأصل اليوناني ((Pragma)) ؛ وفي اللغة الإغريقية ((Pragmaticos))، وفي اللغة اليونانية ((Pragmatikos)) بمعنى العمل، وقد ضاقت دلالة هذا المصطلح عند الرومان فهو ((Pragmaticus)) بمعنى التمرُّس في المسائل القانونية.

إن أول من استعمل هذا المصطلح، وأطلقه على كتاباته هو المؤرخ الإغريقي "يوليوس" (ت ١١٨ ق.م) و يعني عنده تعميم الفائدة العملية، وقد ورد هذا المصطلح في اللغة اللاتينية ((Pragmaticus))، وانتقل منها إلى كل اللغات الأوربية التي كانت من لهجات اللغة اللاتينية يوما ما ؛ فقد استعملت الإنجليزية هذا المصطلح، واشتقت منه كل الكلمات التي ترتبط بلفظة ((Pragmatice))، وأهمها لفظة ((Practical)) ؛ تلك اللفظة التي انبثق من رحمها مصطلح ((Pragmatism)) الفلسفة البراجماتية ؛ ذلك المصطلح الذي ذاع صيته في أمريكا في القرن التاسع عشر الميلادي، ثم انتقل منها إلى أوربا وبعض البلدان الأخرى.

وقد نشأ هذا العلم من تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه، تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة جُمع تحت عنوان (الفلسفة اللغوية)، ويجمع نظريات مختلفة، ومتداخلة :كالفلسفة التحليلية، والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب، وذاتية المتكلم، وخصائص الخطاب، ويتجمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين، والفلاسفة، والمناطقة، وعلماء النفس هو الدراسات التداولية.

ومن العلماء من جعل مصطلح ((Pragmatism)) خاصا بحقل الدراسات الفلسفية العملية أو النفعية، وجعلوا مصطلح ((Pragmatics)) خاصا بحقل الدراسات اللسانية(١١).

وأول ظهور لهذا المصطلح في العصر الحديث كان في مجال الفلسفة التجريبية على يد الفيلسوف "إيمانويل كانت " في القرن السابع عشر

الميلادي، ثم أخذ عنه " تشارلز بيرس " رائد علميّ السيميائيات والبراجماتية اللسانية، ونقله إلى الدراسات اللسانية.

وأخيرًا فقد استقر مصطلح ((Pragmatics)) في الدراسات اللسانية للدلالة على علم اللسان التداوليّ، وقد استخدمه العالم اللسانيّ الكبير " جورج يول " وجعله عنوانا لواحد من أهم كتبه، ثم انتشر هذا المصطلح في أعمال " بيرس "، و " أوستين "، و : سيريل "، و : كارناب ".[١٢]

ولكن الملامح الحقيقية للمنهج التداوليّ نشأت على يد العالم الأمريكيّ والسيميائيّ الكبير " تشارلس موريس " (١٩١٤م) ؛ الذى قام بدور واضح في المقاربة التداوليّة ؛ إذ عرَّفها بأنها جزء من السيميائية، تهتم بدراسة العلاقات بين العلامات ومستعمليها ؛ وبشكل عام نرى أنَّ التداولية ظهرت في الولايات المتحدة وبريطانيا ؛ بسبب الدور الذي أدته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة من جهة، ورد فعل للاتجاه التوليديّ الذي كان متمسكا باستقلالية التركيب في صورة محضة، والتقيد بقواعد الجملة عند تشومسكي، والكفاية اللغويَّة التي تقتصر فقط على الجانب النحويّ لمعرفة المتكلم من جهة أخرى[١٣].

(ج)- تَعريفُ التَّداوليَّة :

اختلفت تعريفات التداولية، باختلاف ترجمة هذا المصطلح من ناحية، وباختلاف المصادر المعرفية له من ناحية أخرى، ومن أهم تلك التعريفات :

أنَّ التداولية فرع من فروع علم اللغة الحديث، يُعنى باستعمال اللغة في الاتصالات ذات الإطار الاجتماعي[١٤] أوهي دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية، واجتماعية، وتواصلية [١٥].

وقد جاء عند كل من " ريكاناتي" و "دبلر" :أنَّ اللسانيات التداولية هي التي تختص بدراسة اللغة داخل الخطاب [١٦].

كما عرفها " ف.جاك" : بقوله : إنَّ اللسانيات التداولية هي ذلك

التخصص الذي يتناول اللغة بوصفها ظاهرة خطابية و تبليغية و اجتماعية في الوقت نفسه. (١٧).

ونصل من هذه الآراء إلى أنَّ التداوليّين لم يكتفوا بدراسة اللغة لذاتها كما فعل البنيويون؛ بل تجاوزوها إلى دراسة (استعمال اللغة)، واستدعوا عناصر أخرى مرتبطة بهذا الاستعمال، وتابعة له وهي : المتكلم، والمتلقي، والكلام، واللفظ، والمقام، والتواصل، والغرض(١٨).

والتداوليّة تدرس علاقة النشاط اللغويّ بمستعمليه، وكيفية استعمال العلامات اللغوية في الخطاب، والسياقات والأنماط المقامية المتنوعة، وبحث سُبُل نجاح التواصل فيه، وأساليب استعمال النَّاس للأدلة اللغوية في أحاديثهم وخطاباتهم، وكيفية تأويلها، وكيفية استخدام الناس لاستراتيجيات الخطاب وعلاقاتها بالسياق التواصليّ، ومن ثمَّ تدرُس التداولية اللغة الخطابيَّة والتواصليَّة(١٩) وهي جديرة بأنْ تُسمَّى ب " علم الاستعمال اللغويّ(٢٠).

. (د)- عَلاقةُ التداوليَّةِ بالعلوم الأخرى:

إنَّ طبيعة المنهج التداوليَّ، وتعدد البيئات التي نشأ في كنفها جعلته يتداخل عن قرب أو بعد مع بعض العلوم الأخرى كعلم الدلالة، واللسانيات البنيوية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية (٢١) ؛ على النحو التالي :

١- عَلاقةُ التداوليَّةِ بعلم الدِّلالة:

علم الدلالة هو ذلك العلم الذي يدرس المعنى(٢٢)، والمعنى هو العنصر المشترك بين علم الدلالة والتَّداوليَّة، لكن الاختلاف يكمن في أنَّ علم الدلالة يدرس المعنى في معزل عن السياق، كما صنَّفه اللغويون ضمن الكفاءة، أمَّا المنهج التداوليّ فيدرس المعنى في داخل السياق، كما صنَّفه اللغويون ضمن الأداء ؛ فضلاً عن أنَّ علم الدلالة يعرف شروط المعنى وحقيقتها، في حين يهتم المنهج التداولي بدراسة هذه الشروط حين تربط المعنى بالاستخدام، و يختلف علم الدلالة عن المنهج التداوليّ في هذه

الجزئية، لأنَّ استخدام المعنى يختلف عن المعنى، نحو الجملة : بين هذه الأشجار أسد ؛ فالمعنى هنا حقيقي لكنه قد يتجاوز استخدام هذا المعنى إلى غرض التحذير(٢٣).

٢- عَلاقَةُ التَّداوليَّةِ بالبِنيويَّة:

يولي المنهج التداوليّ جلَّ اهتمامه بالكلام الذي كان مهملاً عند البنيويين ، وهو الجانب الذي أهمله دي سوسير في دراسة للغة ؛ حيث عَدَّ اللغة ظاهرة اجتماعية أمَّا الكلام فهو التأدية الفردية لها، مما يعني أنَّ اللغة تختلف عن الكلام في أنَّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة (٢٤).

ويشير هذا إلى أنَّ اللسانيات البنيوية تدرس اللغة في بنيتها المغلقة خلافا للمنهج التداوليّ الذي يهتم بمراد المتكلم و نيته، مع مراعاة السياق، لكن هذا لا يدلُّ على أنَّ بونا شاسعا بين اللغة والكلام، فاللغة لا تتحقق إلا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهم سمات المتكلمين بها ؛ فالكلام مظهر من مظاهر تحقق اللغة، ودراسته هي دراسة واقع اللغة الفعلي (٢٥).

٣- عَلاقَةُ التَّداوليَّةِ باللسَانيَّات الاجتِمَاعِية:

تتناول اللسانيات الاجتماعية اللغة من خلال علاقاتها بالمجتمع (٢٦) أمَّا المنهج التداولي فيهتم باللغة من خلال علاقاتها بمستعمليها، ويبدو أنَّ للمنهج التداوليّ تداخلاً كبيرًا مع اللسانيات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية في المتكلمين،، وأثر السياق غير اللغوي في الاختيارات اللغوية البارزة في كلامهم، فالاختيارات اللغوية لأبناء المجتمع الواحد تساعدنا في التعرف على الطبقات المثقفة وغير المثقفة مثلا(٢٧).

٤- عَلاقَةُ التَّداوليَّةِ باللسَانيَّاتِ النَّفْسِيّة:

يختص علم اللغة النفسيّ بدراسة العوامل النفسية والعقلية كالذكاء، وسرعة البديهة، وقوة الذاكرة الشخصية، وحدة الانتباه، وهي كلها عناصر تساعد على عمليات التواصل في المواقف الكلاميّة، ولها أثر كبير في الأداء

اللغويّ للأفراد [٢٨]. وبذلك فإنَّ المنهج التداوليّ يعتمد مقولات اللسانيات النفسيّة في هذا المجال، فعلم اللغة النفسيّ يشترك مع التَّداوليَّة في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها تأثير كبير في أدائهم[٢٩].

المَبْحَثُ الأولُ : الاسْتِلْزَام المُحَادثيّ عِنْدَ الزَّمَخْشَري[٣٠].

إنَّ ظاهرة الاستلزام المحادثي أو (الاستلزام الحِوَاري) أو (الاستلزام التخاطبي) واحدة من أهم الظواهر في الدرس التداوليّ، وعلى الرغم من أهميتها ليس لها تاريخ ممتد ؛ إذ ترجع نشأتها إلى المحاضرات التي ألقاها الفيلسوف غرايس (H.P.Grice) في جامعة أكسفورد بعنوان (المنطق والتخاطب) في عام ١٩٦٧م، ومحاضرات ١٩٧١م بعنوان (الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي)، والتي قدَّم فيها بإيجاز تصوره لهذه الظاهرة والأسس المنهجية التي تقوم عليها [٣١].

ولقد كانت شرارة البدء عند غرايس (H.P.Grice) هي أنَّ الناس في أحاديثهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، وقد عمد جرايس إلى إيضاح الاختلاف بين الذي يقال، وبين الذي يُقصد، فما يُقَالُ هو ما تعنيه الكلمات والتراكيب بقيمها اللفظية، وما يُقْصَدُ هو : ما يود المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادًا على أنَّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يُتاح له من أعراف الاستعمال، ووسائل الاستدلال، ومن هنا فهو يفرق بين المعنى الصريح، و ما تحمله الجملة من معنى متضمن، فنشأت عنده فكرة الاستلزام[٣٢].

وقد فرَّق غرايس (H.P.Grice) بين نوعين من أنواع الاستلزام ؛ (الاستلزام العرفيّ) القائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفصل عنها مهما اختلفت السياقات وتغيرت التراكيب،نحو كلمة (لكن) فهي دائما تستلزم أنْ يكون ما بعدها مخالفًا لما يتوقعه السامع مثل : زيد غني لكنه بخيل، و (الاستلزام المحادثي) أو

(الاستلزام الحواري) الذي يتغير بتغير السياقات والتراكيب التي يرد فيها[٣٣].

والذي شغل بال غرايس في هذا الموضوع هو : كيف يقول المتكلم شيئا ويقصد شيئا آخر؟ وكيف يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وقد وجد حلاً لهذا الإشكال فيما أسماه (مبدأ التعاون) بين المخاطِب والمخاطَب، وهو مبدأ حواريّ عام ينهض على أربع قواعد هي (قاعدة الكيف قاعدة الكم قاعدة الملاءمة قاعدة الجهة) [٣٤].

١ – قَاعِدةُ الكَيف (Maxim of Quality):

إنَّ فهم الملفوظات وتأويلها لا يعتمد على دلالة الجملة والسياق سواء اللساني وغير اللساني، وإنمَّا يرتكز أيضا على ما يبذله المتحاورون من مجهودات لإنجاح التواصل، وهذا التواصل الكلاميّ محكوم بمبدأ عام أطلق عليه غرايس "مبدأ التعاون"، ويرتكز هذا المبدأ على أربع مسلَّمات حوارية، تُعدّ مسلمة الكيف إحدى هذه المسلمات، ونصُّها " لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه"[٣٥].

ويقع الاستلزام المحادثي إذا ما وقع انتهاك أو خرق لهذه القاعدة، وقد يلجأ المُرسِل إلى خرق هذه القاعدة أحيانا لتوصيل قصده إلى المرسل إليهم[٣٦]، وقد ظهر هذا الاستلزام عند الزمخشري في تفسير الكشاف من خلال انتهاكه لقاعدة الكيف، على النحو التالي:

جاء في الكشاف : فكيف قالوا :" إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ"[٣٧] قلت : روى أنَّ رهطا من اليهود سبوا المسيح وأمه، فدعا عليهم، فمسخهم الله قردةً وخنازير، فأجمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنَّه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه : أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة، فقال رجل منهم : أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب، وقيل : كان رجلاً ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه. فدخل بيت عيسى فَرُفِع عيسى وأُلقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنَّه عيسى، ثم اختلفوا، فقال بعضهم : إنَّه إله

لا يصح قتله، وقال بعضهم : إنه قد قتل وصلب، وقال بعضهم : إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ وقال بعضهم : رُفِع إلى السماء، وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا(٣٨).

وبالتدقيق فيما ذكره الزمخشري يتضح لنا أنَّه رصد مسلَّمة من مسلَّمات الاستلزام المحادثي، وهي مسلَّمة الكيف والتي تأتي لتأكيد صدق ما يُقال، وقد كانت ملامح المنهج التداوليّ حاضرة عنده بقوة، وهو ما قال به التداوليون المحدثون : " لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه"(٣٩).

فقد وضح الزمخشري في تفسيره للآية الكريمة أنَّ اليهود قالوا ما لا يملكون عليه الدليل أو البرهان، فقد اختلفوا في أمر عيسى عليه السلام، كل برأيه دون دليل ويُعدُّ هذا خرقًا وانتهاكا لمبدأ الكيف الذي يقتضي البرهنة على كل ما يُقال.

ومنه أيضًا ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ " (٤٠). إنَّ صفة المصلحين خلصت لهم، وتمخضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد (٤١).

فقد قال المنافقون (نحن المصلحون) كذبا دون دليل، وهم يعرفون أنهم كاذبون لأنهم لا يفعلون الإصلاح في الأرض، بل يتظاهرون به، وهم في حقيقتهم فاسدون، وقد فسَّر الزمخشري هذه الآية بقوله : وكان فساد المنافقين في الأرض أنَّهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم، وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم، فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم : لا تفسدوا، كما تقول للرجل لا تقتل نفسك ، ولا تلق نفسك في النار، إذا أقدم على ما هذه عاقبته (٤٢)، وبهذا يكون الزمخشري قد اقترب بتفسيره من التداوليين في أنَّ هذا الحوار خرق لقاعدة الكيف التي هي إحدى مبادئ الاستلزام المحادثي، تلك القاعدة التي تلزم المخاطب بصدق الكلام، والاستشهاد عليه، فقد تكلم

المنافقون من غير دليل على صدق كلامهم.

ومما وقع فيه الخرق لمبدأ الكيف عند الزمخشري، ما جاء في قوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ " (٤٣) يقول الزمخشري : يريد أعفو عن القتل وأقتل، ولكنَّ إبراهيم لمَّا سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء، وهذا دليل على جواز انتقال المجادل من حجة إلى أخرى(٤٤).

توهم النمرود أنَّه يحيي ويميت، وذلك أنَّه أوتي بالرجلين وقد استحقا الجزاء من القتل، فيأمر جنوده بقتل أحدهما فيقتلونه، ويأمرهم بالعفو عن الآخر فلا يقتلونه، فذلك الإحياء والإماتة عنده، وهو بذلك من وجهة النظر التداوليَّة لم يخرق قاعدة الكيف لأنه قد أتى بالدليل على كلامه، أمَّا من جهة المنطق فدليله غير منطقي، وحجته داحضة، لذلك لم يتوقف عندها كثيرًا الخليل إبراهيم (عليه السلام) لأنها كما قال الزمخشري : جواب أحمق، ولهذا قال إبراهيم (عليه السلام) إذا كنت تحيي وتميت، فهذه الشمس تطلع كل يوم من المشرق فإنْ كنت كما تقول فأت بها من المغرب؟ فلمَّا علم النمرود أنه لا يقدر على هذا الأمر ظل عاجزًا ساكتًا عن الكلام، فقامت عليه الحجة (والله لا يهدي الظالمين) أي كما قال ابن كثير : لا يمنحهم البرهان والحجة والدليل على كلامهم (٤٥).

وبهذا يكون قد فسَّر الزمخشري النص على خرق قاعدة الكيف لعدم وجود الدليل على كلام النمروذ، وبهذا يقع الاستلزام المحادثي، والجدير بالذكر اهتمام الزمخشري بالحجة والدليل، مما يعطينا شعورًا بارتفاع الحس التداوليّ عند الزمخشري.

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى :" فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ

الْأَعْلَى (٢٤) "[٤٦]، يقول الزمخشري : فجمع السحرة، فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى في الناس بذلك، وقيل : قام فيهم خطيبًا، فقال تلك العظيمة، قال ابن عباس : كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري، و كلمته الآخرة أنا ربكم الأعلى[٤٧].

وقع الاستلزام المحادثي بخرق هذه القاعدة من خلال ادعاء فرعون بالربوبية دون دليل أو برهان على صحة كلامه.

٢ – قَاعِدةُ الكَمِّ (Maxim of Quantity):

ومن اللسانيين من يطلق عليها قاعدة (القَدْر)، وهذه القاعدة ترتبط بكمية المعلومات اللازم توافرها في المبادرة الكلامية، وتتفرع إلى مقولتين:

الأولى : اجعل إسهامك يفيد الكمية المطلوبة من الأخبار.

الثانية : لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب [٤٨].

ويقع الاستلزام المحادثي إذا ما وقع انتهاك أو خرق لهذه القاعدة، ويظهر هذا الاستلزام عند الزمخشري في الكشاف من خلال خرقه لقاعدة الكم، في تفسيره للآيات التالية:

جاء في الكشاف في قوله تعالى" وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ "[٤٩] السرابيل : القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها، (تقيكم الحر) لم يذكر البرد ؛ لأنَّ الوقاية من الحرّ أهمّ عندهم، وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرًا محتملاً، قيل : ما بقي من الحر بقي من البرد، فدل ذكر الحرّ على البرد([٥٠])

وبالتدقيق فيما ذكره الزمخشري نجد أنَّه قد وقع خرق وانتهاك لمبدأ الكم في تفسيره للآية الكريمة، ذلك لأنَّ الوقاية من الحر تستلزم ضمنيا الوقاية من البرد، لأنَّ كلاً منهما يستلزم ارتداء الإنسان للملابس، فالزمخشري لم يذكر البرد ؛ لأنه لمَّا ذكر الحرّ دلَّ عليه.

ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا....وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. "[٥١] فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا، فما حكمهم لو لم يتوبوا؟ قلت : قالوا : يكون مالهم فيئًا للمسلمين[٥٢]، فالنص القرآني تناول حال التائبين عن الربا، ولم يتناول حال من لم يتوبوا، لكنَّ الزمخشري في تفسيره خرق قاعدة الكم، وشارك بأكثر مما هو مطلوب في النص، فتناول حال من لم يتوبوا، ويعد هذا الخرق دليلاً على وقوع الاستلزام، فإن الحديث عمن تابوا عن الربا يستلزم الحديث عمن لم يتوبوا عنه.

وفي قوله تعالى :" وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ "[٥٣] يقول الزمخشري : من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي، وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم[٥٤].

لقد تغلبت الفطرة على إبراهيم عليه السلام، فطلب من الله أن يجعل الإمامة في ذريته، وهذه فطرة البشر، فالإنسان يتمنى أن يكون ابنه أفضل منه، لكنّ الله (سبحانه وتعالى) أبى، وقال له إنَّ الظالمين لا يستحقون الإمامة ؛ لكنَّ الزمخشري خرق قاعدة الكم، وأسهم بأخبار تفيد أكثر من الكمية المطلوبة، فيقول : إنما ينال الإمامة من كان عادلا بريئا من الظلم[٥٥]، وبهذا يكون قد وقع الاستلزام عند الزمخشري لأنَّ منع استخلاف الظالمين، يستلزم ضمنيا استخلاف العادلين.

٣- قَاعِدةُ المُلاءمَةِ (Maxim of Relevance):

ومن اللسانيين من يطلق عليها قاعدة (المناسبة)، وهذه عبارة عن قاعدة واحدة لتكن مشاركتك ملائمة ؛ أي يكون كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع[٥٦] أو كما يقول طه عبد الرحمن : ليناسب مقالك مقامك [٥٧]، ويشير غرايس إلى أنَّ هذه القاعدة تخفي مجموعة من التساؤلات، نحو : ما أنواع الملاءمة الممكنة؟ كيف يمكن تعديلها خلال عملية التواصل الكلامي؟ وما الآليات الطبيعية التي تساعد على تغيير موضوع المحادثة بطريقة

مقبولة؟[٥٨].

ويقع الاستلزام إذا ما وقع خرق لقاعدة الملاءمة، ويظهر الاستلزام الحواري عند الزمخشري في الكشاف من خلال خرقه لقاعدة الكم، في تفسيره لقوله تعالى :" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا " [٥٩]، قال الزمخشري : أتجعلنا أهل هزو، أو مهزوًا بنا، أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء، لأن الهزو من باب الجهل والسفه، أي قالوا : أتجعلنا موضع سخرية وتهزأ بنا ؟ فبنو اسرائيل لا يجيبون على موسى عليه السلام إجابة مناسبة للمقام ب (نعم) أو (لا)، بل أجابوه إجابة غير مناسبة لقوله تعالى " إنَّ الله يأمركم أنْ تذبحوا بقرة "، حيث أجابوا على سؤال موسى بسؤال مثله [٦٠]، فكان جوابهم غير مناسب لسياق الكلام، ويعد هذا خرقا لقاعدة المناسبة التي تنص على أنْ يكون كلام المخاطب ذا علاقة مناسبة بالموضوع، لذلك يعد هذا الخرق استلزامًا محادثيًا.

كما رصد الزمخشري مسلمةً من مسلمات الاستلزام المحادثي في تفسيره لقوله تعالى:" قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ "[٦١] فإنْ قلت : كيف يكون قوله (أنا خير منه) جوابا لما منعك ؛ وإنما الجواب أن يقول منعني كذا ؟ قلت : قد أستأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم و بعلة فضله عليه وهو : أنَّ أصله من نار وأصل آدم من طين، فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي إنكار للأمر واستبعاد أنْ يكون مثله مأمور بالسجود لمثله، كأنه يقول :من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أنْ يؤمر بما أمر به [٦٢].

رصد الزمخشري في تفسيره للآية السابقة مسلَّمة من مسلَّمات الاستلزام المحادثي، وهي مسلَّمة الملاءمة والتي تأتي لهدف إيصال المعلومة للمخاطَب، وقد كانت ملامح المنهج التداولي حاضرة عنده بقوة، وهو ما قال به التداوليون المحدثون : اجعل كلامك ذا علاقة ملائمة بالموضوع [٦٣]، فهو يرى أن جواب إبليس لم يكن مناسبا للسؤال الذي سئُل، فلم يكن كلام

المخذول مناسبا للمقال، فقال :" أنا خير منه" ولم يكن السؤال أيكما خير؟ بل كان السؤال :" ما منعك ألا تسجد"، وهذا خرق لقاعدة الملاءمة، وبذلك يكون قد وقع الاستلزام.

ويرى التداوليون أنَّه إذا وقع خرق في مسلَّمة الملاءمة إنما يكون ذلك لغاية يقصدها المخاطِب،وهو ما يراه الزمخشري من أنَّ إبليس انتهك مسلَمة الملاءمة لغاية يقصدها فهو يريد أن يقول : فضلى على آدم هو الذي منعني من السجود له.

٤-قَاعِدةُ الجِهَةِ (Maxim of Manner):

تتلخص هذه القاعدة في قول غرايس : كن واضحا، وهي تختلف عن نظيراتها في كونها لا تُعنى بما قيل، وإنما بطريقة التعبير عما ننوي التعبير عنه، وتنقسم على ثلاث قواعد فرعية على النحو التالي:

- اجتنب الكلام المُلْبِس.
- اجتنب الكلام الغامض.

تحرَّ الإيجاز، والترتيب [٦٤].

ويقع الاستلزام إذا وقع خرق لواحدة من القواعد الفرعية السابقة، ويتضح ذلك في تفسير الزمخشري لقوله تعالى :" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ "[٦٥] ؛ يقول الزمخشري : قرأ الحسن : وجوزنا من أجاز المكان وجوَّزه وجاوزه وليس من جوز الذي في بيت الأعشى : وإذا يجوزها جبال قبيلة، لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال : وجوَّزنا بني إسرائيل في البحر، (فأتبعهم) : فلحقهم يقال : تبعته حتى أتبعته، كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصًا على القبول، ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته، وقاله حين لم يبق له اختيار قط، وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء

التكليف(٦٦).

يرى الزمخشري أنَّ فرعون لم يؤمن حقيقة، بل قال ما قال للنجاة من الغرق، كما ذكر الزمخشري أنَّ فرعون كرر المعنى الذي يريده ثلاث مرات بثلاث عبارات، فقد كان بإمكان فرعون أن يُوجز في كلامه على نحو مختصر فيقول (أسلمت لله) ؛ لكنه تعمَّد ذلك حرصا على القبول كما ذكر الزمخشري، ويُعدُّ هذا خرقًا لقاعدة الجهة، التي يمثل الإيجاز فيها ركيزة أساسية في توضيح المعنى، فتكرار المعنى الواحد بالعبارات المختلفة خروجا عن الإيجاز، ولهذا وقع الاستلزام.

وقد وقع الاستلزام المحادثي، بخرق قاعدة الجهة من خلال خرق مبدأ الترتيب في تفسيره لقوله تعالى :" إِيَّاكَ نَعْبُدُ " (٦٧) ؛ فيقول : وتقديم المفعول لقصد الاختصاص، كقوله تعالى :" قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ"(٦٨)، " قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا " (٦٩)، والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة (٧٠).

فيرى الزمخشري أنَّ سبب التقديم هو التخصيص، لذلك يقول أئمة علم المعاني في قوله تعالى (إياك نعبد) : نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك، ويرون أنَّ هذا التقديم إنَّما هو تقديم على نية التأخير،وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، وإنما كون المفعول لا يقتضي له أنْ يكون بعد الفاعل، فإذا قُدِّم على الفاعل نوى به التأخير(٧١).

يتضح مما سبق أنَّ الزمخشري استنتج أنَّ تقديم المفعول على الفعل والفاعل لغاية التخصيص، لأنَّه لو لم يُقدَّم المفعول على الفعل والفاعل لوقع لبسٌ في المعنى يجعل المتلقي يذهب إلى معنى آخر غير الذي سيق له الخطاب، وهذا ما يهتم به التداوليون الذين يعتمدون على المرسَل إليه في فهم الملابسات التي تصاحب النص، فدور المرسَل إليه يظهر عندهم في تفكيك

الرسائل اللغوية، وهو دور إيجابيّ من حيث كونه مكملاً لعملية التركيب التي قام بها المرسِل، وذلك لأنَّه لا يوجد عملية تخاطب دون أن تمر بمرحلتي التفكيك والتركيب(٧٢).

يتضح مما سبق أن الزمخشري قد سبق التداوليين المحدثين في معالجته التداولية، ذلك لأنَّه أثبت أنَّ الخرق لقاعدة من قواعد الاستلزام المحادثي إنما الهدف منه الوصول بالخطاب إلى إفهام المرسل المرسل إليهم ما الغاية التي من الحوار، والتعاون في سبيل إنجاح التخاطب، فإذا كان المرسل يقصد أنْ للكلام معنى فهو يعني من جانب المرسل إليه أنَّ للكلام قيمة، أو قيما متعددة(٧٣).

المَبْحَثُ الثَّاني : أَفْعَالُ الكَلامِ عِنْدَ الزَّمَخْشَرِي

ألقى الفيلسوف الإنجليزي (جون أوستن) مجموعة من المحاضرات على طلابه في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم ألقى اثنتي عشرة محاضرة في جامعة هارفرد عام ١٩٥٥م، سعى من خلالها إلى تأسيس نظرية حديثة، وقد سار في دربه إلى أنْ نضجت أفكاره، وتبلورت في كتابه الشهير (كيف ننجز الأفعال بالكلمات How to do things with words) الذي صدر عام١٩٦٢م بعد وفاته (٧٤)، مؤسسا لنظرية أفعال الكلام(٧٥).

وقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي (Speech act) نواة مركزية في الكثير من الدراسات التداولية، وفحواه أنَّ كلٌّ ملفوظ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ إنجازيّ تأثيريّ، وفضلاً عن ذلك يُعدُّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالاً قولية (Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires) كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثمَّ فهو فعل يطمح إلى أنْ يكون فعلاً تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثمَّ إنجاز شيء ما (٧٦).

وقد توصل أوستن في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى أنَّ الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تُعد جوانب مختلفة للفعل الكلامي الواحد وهي : (الفعل اللفظي)، و (الفعل الإنجازي)، و (الفعل التأثيري) [٧٧].

وللتوضيح أكثر ؛ نسوق هذا المثال : (خلف هذا الباب أفعى):

- الفعل اللفظي هو : (خلف هذا الباب أفعى) [٧٨].
- الفعل الإنجازي : هو ما يقصده المتكلم : وهو التحذير من الأفعى.
- الفعل التأثيري : الخوف والفزع / الهرب من المكان أو النهوض لقتلها[٧٩].

وقد صنَّف أوستن الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف[٨٠] : أفعال الإيضاح، وأفعال الأحكام، وأفعال القرارات، وأفعال السلوك، وأفعال التعهد[٨١].

كما قام (جون سيرل) وهو أحد تلاميذ أوستن النابهين بتطوير النظرية، وقدَّم مفهوما لبنية الأفعال الكلامية مقتضاه : (الفعل النطقي) ويتمثل في النطق الصوتي للكلمات بشكل نحويّ وصرفيّ ومعجميّ صحيح، (الفعل القضوي) ويتمثل في المتحدث عنه والمتحدث به، (الفعل الإنجازي) وقد يكون هو الاستفهام، أو الإخبار، أو التمني أو الأمر.. إلخ[٨٢].

كما أعاد (جون سيرل) تصنيف الأفعال الإنجازية إلى الخمسة أقسام التالية : الإخباريات (أو التقريريات)، والتوجيهيات (أو الطلبيات)، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات (أو التصريحيات).

كما فرق (جون سيرل) بين الأفعال الإنجازية المباشرة : التي تطابق قوتها، الإنجازية مراد المتكلم، و الأفعال الإنجازية غير المباشرة : التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم[٨٣].

وللتوضيح أكثر ؛ نسوق هذا المثال : (هل تناولني الملح؟): هذا فعل إنجازي يدل على الاستفهام باستخدام الأداة (هل)، لكن الاستفهام ليس

هو المراد من وراء هذا السؤال، فأنت لا تنتظر أن يجيبك صديقك بنعم أو لا، بل مرادك منه أن يناولك الملح، لذلك فالفعل الإنجازي السابق فعل غير مباشر ؛ إذ تخالف قوته الإنجازية الحرفية قوته الإنجازية غير الحرفية التي هي مراد المتكلم(٨٤).

وسوف أقوم بدراسة الأفعال الكلامية عند الزمخشري معتمدًا تصنيف (جون سيرل) على النحو التالي:

(أ)- الإخباريات (التقريريات)

الأفعال التقريرية هي الأفعال التي يلتزم فيها المتكلم بصدق القضية المعبر عنها (٨٥)، وبالتدقيق نلحظ تلمُّس الزمخشري لهذا النوع من الأفعال الكلامية وفق ما يمتلك من آليات التحليل التداولي في تفسيره لقوله تعالى:" ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ "(٨٦)، فقد جاءت هذه الآية في مطلع سورة البقرة، وقد جاء الحديث فيها عن القرآن الكريم، وأثره فيمن يؤمن به، وقد ورد في هذه الآية ملفوظ إخباري من أفعال الكلام التقريرية، كما اشتملت هذه الآية على عدد من الأفعال الكلامية الإنجازية وهي : الإخبار، والوصف، والتنبيه، والثناء، والتقرير(٨٧).

وهو ما أشار إليه الزمخشري في الكشاف بقوله : بيان ذلك أنَّه نبَّه أولاً على أنَّه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنَّه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرًا لجهة التحدي وشدًا من أعضاده، ثم نفي عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادةً وتسجيلاً بكماله لأنَّه لا كمال أكمل مما للحق واليقين،ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة...ثمَّ أخبر عنه بأنه (هدى للمتقين) فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله (٨٨).

فتفسير الزمخشري للآية الكريمة يؤكد أنَّ النص يدل دلالة قاطعة على التقرير، فكتاب الله حق ويقين لا يحوم الشك حوله من قريب أو من بعيد، وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا تأويل تداولي من خلال القوة الإنجازية للأفعال الكلامية، ثمَّ توالت الأفعال الكلامية الدالة على

الوصف والتقرير في الآيات التالية وهي (يؤمنون بالغيب)، و(يقيمون الصلاة)، و(مما رزقناهم ينفقون)، و(يؤمنون بما أنزل)، و(بالآخرة هم يوقنون)، وقد بيَّنت هذه الملفوظات صفات هؤلاء المؤمنين، الذين خصَّهم الله بالهدى والفلاح في قوله تعالى :" أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "(٨٩)

فقد اشتملت هذه الآية على فعلٍ كلاميّ إخباريّ متضمنا قرارًا من الله بهداية المؤمنين وفلاحهم جزاء بما كانوا يعملون(٩٠)

(ب)- التوجيهيات (الطلبيات):

وهي الأفعال الدالة على الطلب، أو كما يقال : أفعال التكليف، والقصد من ورائها حمل المخاطب على القيام بفعل أو عمل محدد، ويشمل هذا النوع من الأفعال مجموعة كبيرة من أفعال الكلام التي تتباين من حيث قوتها الإنجازية، باختلاف المقام والعلاقة بين المخاطَب والمخاطِب،وهي تمثل كل الصيغ التي لها دلالة على الطلب كالأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام، والتحذير(٩١).

الأمر:

الأمر عند بعض القدماء قسم مستقل من أقسام الكلام، أمَّا عند المحدثين فَيُعَدُّ من الأفعال التوجيهية التي تجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب؛ بشرط أنْ يقترن الفعل بسلطة المرسل(٩٢).

وقد ظهر اهتمام الزمخشري بهذا النوع من الأفعال في تفسيره لقوله تعالى:" وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ "(٩٣) ؛ حيث يقول : الفعل (يرضعن) مثل الفعل (يتربصن) في أنَّه خبر في معنى الأمر المؤكد(٩٤).

وبالتدقيق في تفسير الزمخشري للآية السابقة نلحظ أن الفعل (يرضعن) لم يأت على صورته المباشرة المقصودة في الخطاب القرآني ألا وهي صورة (الأمر) ؛ بل جاء على صورة الخبر الذي يحكي حال الوالدات

اللاتي يرضعن أبناءهن ؛ وهذا الخروج من المعنى الأصلي إلى آخر ثانوي جاء ليؤدي وظيفة تداولية تتمثل في الاهتمام بالمعنى الإنجازي للأفعال الكلامية، ما يؤكد قوة البعد التداولي في تفسير الزمخشري للآيات الكريمة.

الاستفهام:

وقد ساق الزمخشري في هذا النوع من الأفعال الكلامية عدة شواهد قارب فيها البحث التداولي، فقد ظهر البعد التداولي جليا في تفسيره لقوله تعالى :" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ"(٩٥)، حيث يقول : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل : شرحنا لك صدرك(٩٦)، والحديث هنا عن أسلوب الاستفهام، ويقصد به طلب الفهم ؛ أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما بوساطة أداة من أدواته، وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أُخر تُفهم من المقام (٩٧).

فالمعنى الأساس للاستفهام هو الفعل الكلامي اللفظي التقريري، أما المعنى المجازي للاستفهام فيمثل القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي، فالسؤال من الله تعالى في القرآن يكون على سبيل المجاز أي خروج الاستفهام من معناه الأصلي إلى معان أُخر، فالمولى سبحانه مستغنٍ عن سؤال خلقه، فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، وإنما سؤاله على سبيل التقرير والتذكير(٩٨)

فالاستفهام لم يأت بصورة مباشرة بغرض البحث عن إجابة للسؤال، بل جاء للدلالة على (الإنكار)، وهو خروج من المعنى الأصلي إلى معنى فرعي، وهذا ما أكَّده الزمخشري بقوله : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه(٩٩).

وقد عالج الزمخشري كثيرا من أساليب الاستفهام معالجة تداولية في تفسيره، من ذلك تفسيره لقوله تعالى :"أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ"(١٠٠)، وتفسيره لقوله تعالى :" قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا".(١٠١)، وغير ذلك كثير.

النِّدَاء

هو توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاءِ، وسماعِ ما يُريده المتكلِّم، وأداته الأساسية (يا)، ويُعدُّ النداء من الأفعال التوجيهية، لأنَّه يلزم المرسل إليه باتخاذ ردة فعل اتجاه المرسِل [١٠٢].

ويعد النداء في القرآن الكريم بمثابة المدخل إلى الأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعدها الهدف المقصود من الخطاب مباشرة[١٠٣]، فقد فسَّر الزمخشري قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ "[١٠٤] خطاب لمشركي مكة، و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه، وأما نداء القريب فله أي والهمزة، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل، وإن قرب تنزيلاً له منزلة من بَعُد فإذا نودى به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأنَّ الخطاب الذي يتلوه معنيّ به جد اً [١٠٥]

فالآية الكريمة تضمنت فعلين كلاميين : الأول تأثيري وهو نداء تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين وتهيئتهم لتلقي الخطاب، والثاني غرضي إنجازي، وهو أمر تتمثل قوته في دعوة المخاطبين إلى عبادة الله[١٠٦]

(ج)- الالتزاميات

وهي تلك الأفعال التي يقصد بها المخاطِب الالتزام طوعا بعمل شيء في المستقبل للمخاطَب، بحيث يكون المخاطِب جادًا ومخلصًا في كلامة، عزما على الوفاء بما التزم به، كالأفعال الدالة على الوعد والوعيد والضمان والمعاهدة [١٠٧].

وقد ساق الزمخشري في هذا الجانب عدة شواهد قارب فيها البحث التداولي، منها ما جاء في تفسيره لقوله تعالى :" وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ "[١٠٨].

يقول الزمخشري : فإنْ قلت : مَنْ المأمور بقوله (وبشِّر)؟ قلت :

يجوز أنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد... وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنَّه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به(١٠٩).

فالآية الكريمة اشتملت على فعل تلفظي إنجازي تضمن وعدًا من الله لعباده المؤمنين بالبشارة بالخلود في جنات النعيم، وقد عالج الزمخشري ذلك معالجة تداولية بقوله : إنَّ الله سبحانه وتعالى اعتاد في كتابه أن يذكر الترغيب والترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يُزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يُتلف، فلما ذكر الكفار وأعمالهم و أوعدهم بالعقاب، قفَّاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة ؛من فعل الطاعات والأعمال الصالحة(١١٠).

وكذلك تفسيره لقوله تعالى :" إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"(١١١)، حيث يقول : ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها و يملؤها غبطة وسرورًا وهو رده إليها وجعله من المرسلين(١١٢).

وبالتدقيق فيما ذكره الزمخشري نستنتج أنَّ الملفوظ الكلامي في الآية السابقة تتضمن فعلين التزاميين بالوعد، الأول : (رادوه) : وهو وعد من الله لأم موسى برد وليدها عليها للرضاع، والثاني : (جاعلوه من المرسلين) : وهو وعد من الله لأم موسى بأنه سيكون من المرسلين.

ومما يتجلى فيه إبداع الخطاب القرآني، بعض الآيات التي تشتمل على وعد ووعيد في آن واحد، ومن ذلك قوله تعالى:" فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا..... "(١١٣) يقول الزمخشري : بشِّر به، وأنذر... وقوله " وَكَمْ أَهْلَكْنَا " : تخويف لهم وإنذار(١١٤).

فقد اشتملت الآية الكريمة على ثلاثة أفعال كلامية، الفعل (لتبشِّر) فعل تلفظي إنجازي تضمن وعدا من الله بالبشرى للمؤمنين،وفعلين التزاميين (تنذر، أهلكنا) وقد تضمنا وعيدا وإنذارًا وتخويفا من الله للكافرين، وهو ما

أكَّده الزمخشري بقوله : " وَكَمْ أَهْلَكْنَا " : تخويف لهم وإنذار [١١٥].

(د)- التعبيريات

وهي أفعال كلامية يعبر بها المتكلم عن مشاعره في حالات السرور، والحزن، والنجاح، والفشل، و الرضا، والغضب،وليس من الضرورة أن يقتصر هذا النوع من الأفعال على الأحداث الخاصة بالمتكلم ؛ بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثاره النفسية والشعورية على المتكلم، وتشمل أفعال التهنئة والمواساة، والشكر والاعتذار، وأفعال الحب والكره والشوق، وأفعال التمني والحسرة والندم [١١٦].

ومن أمثلة هذا النوع من الأفعال عند الزمخشري تفسيره لقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"[١١٧]، تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به [١١٨].

لقد سلط الزمخشري الضوء على أسلوب الاستفهام في تفسيره للآية السابقة، مستخدما مصطلح (التعجيب)، حيث نبه إلى أن القصد من الاستفهام هو التعجب، وهو خروج بالاستفهام إلى أغراض غير حقيقة، فالزمخشري يرى أن الاستفهام هنا لا يراد به الإجابة عن السؤال المطروح،وإنما القصد هو إفهام المخاطَب لما يحمله الاستفهام من معانٍ إضافية مجازية يمكن لها أن تُقرِّب المعنى المقصود للخطاب، والمقصود من الخطاب في هذه الآية هو التعجب من أمر النمروذ الذي يجادل النبي الكريم في ربه، فجاء الاستفهام تداوليًا منبها المخاطَب إلى البعد عن المواضع التي ينال بها العبد من ربه عزَّ وجل[١١٩].

فالتعجب كما عدَّه جمهور العلماء العرب من الإنشاء غير الطلبي كما عبَّر عنه ابن الحاجب وغيره [١٢٠]، وعرّفوه بأنه انفعال يحدث في النفس عما خفي سببه [١٢١]، ولهذا قالوا : إذا عُرف السبب بَطُل العجب [١٢٢]، وهو فعل من الأفعال الكلامية غير المباشرة التي توصل إليها الزمخشري من خلال الاستفهام، وهو يرى أن التعجب مصروف إلى المخاطَب، وقد استحسن

علماء الأصول هذا من الزمخشري كما استحسنوا رأي سيبويه إذ عدَّ مجيء التعجب من الله مثل مجيء الدعاء والترجي منه(١٢٣).

ومنه أيضا تفسيره لقوله تعالى :" فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ "(١٢٤)، يقول الزمخشري : وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، لأنَّ النادم يقلب كفيه ظهرًا لبطن، كما كنَّى عن ذلك بِعَضِ اليد (١٢٥)

بالتدقيق فيما ذكره الزمخشري نلحظ أنه سلط الضوء على الغرض الإنجازي للفعل (يقلب)، الندم واللوم، والندم هذا معنى من المعاني التي تدل عليها أفعال التعبيرات، وهو من المعاني التي استفاض في شرحها الزمخشري، والتعليل لها بقوله :، لأنَّ النادم يقلب كفيه ظهرًا لبطن، كما كنَّى عن ذلك بعض الكف، والسقوط في اليد(١٢٦)

(هـ)- الإعلانيات (التصريحيات):

والسمة المميزة لها أنَّ أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحا فالحرب معلنة، وهي أفعال كلامية تحدث تغييرًا في الوضع القائم بمجرد التلفظ بها، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص، ومن أمثلتها صيغ العقود كالزواج والطلاق، والبيع والشراء، والعفو والصفح (١٢٧).

وقد أشار الزمخشري إلى هذا النوع من الأفعال من خلال تفسيره لقوله تعالى :" وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً... ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ"(١٢٨)، حيث يقول : عفونا عنكم حين تبتم من بعد ارتكابكم الأمر العظيم، وهو اتخاذكم العجل، إرادة أنْ تشكروا النعمة في العفو عنكم(١٢٩)

فالآية الكريمة اشتملت على فعل كلامي من فئة التصريحيات أو الإعلانات (عفونا)، أمَّا قوته الإنجازية فتتمثل في إعلان العفو من قبل المخاطِب ؛ وهو المولى سبحانه وتعالى، عن بني اسرائيل، لما ارتكبوه من إثم كبير حينما عبدوا العجل، وفعل العفو من فئة الأفعال الكلامية التي لا يقع

إنجازها إلا بالتلفظ بالفعل اللغوي صراحة، وهو ما تنبه له العرب القدماء لا سيما فيما يتعلق بصيغ العقود(١٣٠).

المَبْحثُ الثَّالِثُ : مُتَضَمِّنَاتُ القَولِ عِنْدَ الزَّمَخْشَرِي:

يُعد موضوع متضمنات القول من المبادئ الأساسية في البحث التداوليّ، وهو مفهوم تداوليّ إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره (١٣١)، ومن أهمها :

أولا : الافتراض المسبق:

في كل عملية من عمليات التواصل اللسانيّ ينطلق الشركاء من افتراضات ومعطيات معترف بها ومتفق عليها بينهم، وتمثل هذه المعطيات وهذه الافتراضات الخلفيات التواصلية المهمة لتحقيق النجاح في عمليات التواصل اللسانيّ(١٣٢)

ويعدُّ الافتراض المسبق من أهم المبادئ التي يعتمد عليها البحث التداوليّ، وهو ذو طبيعة لسانيَّة، بمعنى أنَّه يتم إدراكه من خلال العلامات التي يتضمنها القول، فهو ينتمي إلى الجهاز المفاهيمي للاستراتيجية التداوليَّة، وهو يُحدد على أساس معطيات لغوية ومعلومات سابقة مخزَّنة في ذهن مستعملي اللغة وليس في الجمل التي يتلفظ بها، فمثلا قولنا : (لقد عدَّلوا قانون الثانوية العامة)، فأثناء التلفظ بهذه الجملة يتبادر إلى ذهن السامع أنَّ من قام بفعل التعديل هو وزير التربية والتعليم لأنه من أهل الاختصاص ؛ لذلك يعرفه "جورج يول" بقوله : الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أنَّه موجود عند المتكلمين وليس في الجمل(١٣٣)

وقد يتسع مفهوم الافتراض المسبق ليشمل العرف الاجتماعيّ، وسياق الحال، والمعلومات العامة، والعهد بين المتخاطبين الذي يجعل السامع يفهم قصد المتكلم، لذلك تجعله "أوركيوني" ضمن المعلومات غير المصرح بها

التي تحملها بنية الملفوظ الذي يوجد فيه بصفة جوهرية مهما تكن خصوصية الإطار التلفظي، مما يجعل الافتراض المسبق هو الحامل السياقيّ العام الذي يحتضن عملية التخاطب (١٣٤)

وقد فسَّر الزمخشري بعض الآيات القرآنية تفسيرًا يقوم على الافتراض المسبق في فهم المقاصد القرآنية، ومثال ذلك عنده، ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:" وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ " (١٣٥)، قال الزمخشري : فعليه تحرير رقبة، والتحرير الإعتاق، والحر والعتيق الكريم، لأن الكرم في الأحرار كما أنَّ اللؤم في العبيد ومنه : عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها، وحرّ الوجه أكرم موضع منه، وقولهم للئيم : عبد، وفلان عبد الفعل، أي : لئيم الفعل، والرقبة عبارة عن النسمة، كما عبّر عنها بالرأس في قولهم : فلان يملك كذا رأسا من الرقيق، والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء، وعن الحسن : لا تجزئ إلا رقبة صلت وصامت، ولا تجزئ الصغيرة، وقيل : لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها مؤمنة في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها ؛ من قِبل أنَّ الرقيق ممنوع من تصرف الأحياء، وهو مقتض شرعا ؛ لكونها مملوكة، إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيزداد عليه ليكون تقدير الكلام رقبة مملوكة (١٣٦).

نلحظ أنَّ الزمخشري في تفسيره لهذه الآية قد اعتمد على الافتراض المسبق الذي يُعدُّ آلية من آليات المنهج التداولي، فالنص القرآني يركز على أنّ الكفارة هي تحرير رقبة، أما الزمخشري فيتجه إلى أنَّ التحرير يقتضي أن تكون الرقبة مملوكة، لأنَّ المعنى المفترض أن يكون عليه الكلام هو : (تحرير رقبة مملوكة)، ولهذا نجد الزمخشري يعالج هذه الآية التي تطرق إليها بالشرح والتفسير معالجة سبق فيها التداوليين المحدثين، وبهذا تتجلى وظيفة الافتراض المسبق الأساسية والتي تتمثل في جعل الخطاب يسير بصفة متسلسلة غير منقطعة هذا من جهة، والمحافظة على التماسك العضوي

للخطاب من جهة أخرى(١٣٧).

ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى :" تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"(١٣٨) ، يقول الزمخشري : قُرئ (تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ) بالرفع على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، والتقدير : الذي أنزل عليك تنزيل العزيز الرحيم (١٣٩).

نلاحظ أنَّ الزمخشري قد ارتكز في تفسيره على مبدأ الحذف، باعتباره متلقيا للنص القرآني، فهو يذكر أن في الآية الكريمة حذفا لعلم المخاطب به، وهو بهذا ينطلق من مبدأ الافتراض المسبق في المنهج التداولي الذي يراعي المخاطب في عملية التخاطب، فقد فسر الزمخشري قوله تعالى وفق معطيات السياق التداولية، فقد قدر المحذوف آخذا بمبدأ مراعاة السياق، فالافتراضات المسبقة التي ينطلق منها الزمخشري، تُعدّ وسيلة ناجحة، وآلية ناجعة في تفسيره للنص القرآني.

ومنه أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى :" وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً " (١٤٠)، يقول الزمخشري : أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل(١٤١).

لم يغفل الزمخشري مبدأ الافتراض المسبق في تفسيره، إذ اعتمد في تحليله للآية السابقة على المنهج التداولي، فالنص القرآنيّ لم يحدد عدد الأيام التي قال بها اليهود، لكنّ الزمخشري حددها بأنها أربعين يوما، وقد ذكر العلة في هذا التحديد، فقد افترض الزمخشري أن اليهود يظنون أن العذاب مرتبط بعبادتهم للعجل، وطالما أنَّ عبادتهم للعجل قد استمرت أربعين يوما، إذن فإنَّ مدة مكثهم في النار لن تتجاوز هذه الفترة، لذلك كان للاعتماد على السياق دور كبير في معرفة الافتراض المسبق، ونستنتج من ذلك أنَّ عدم تحديد الفترة في النص القرآني يعود لعلم المخاطَب بها، فالنص القرآني يراعي المخاطَب، ومدى وضوح الخطاب له من خلال الاعتماد على المعلومات المشتركة بين المخاطِب والمخاطَب، ومن هنا فالافتراض يكون مسلَّما به من طرفي الخطاب، ليؤدي التفاهم بهم إلى التواصل بين طرفي الخطاب،

فالافتراض المسبق يُعدّ اللحمة التي ينسجم بها الخطاب(١٤٢).

ثانيا : القول المضمر:

هو النمط الثاني من متضمنات القول، ويرتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معلومات وافتراضات ومعطيات معترف بها ومتفق عليها بين المتخاطبين، تقول أوركيوني : القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث(١٤٣)، ولقد وضع مصطلح "الإضمار" للتعبير عن معنى "عدم التصريح"(١٤٤).

وقد اهتم التداوليون بالأبعاد الضمنية والمضمرة في الخطاب ؛ وتوصَّلوا إلى أنَّ الملفوظات تحتوي على جوانب مضمرة وضمنيَّة يمكن استنتاجها، فالكلام لا يعني دائما التصريح بل يعني حمل المتلقي على التفكير في أمر غير مُصرَّح به، والمتكلم عادة ما يتلفظ بالصريح من أجل تمرير المضمر، ومن ثمَّ فالحمولة الدلاليَّة التي تتماشى والعبارات اللغوية يمكن أن تنقسم إلى قسمين : المعاني الصريحة أو المباشرة : وتدلُّ عليها الصيغ الحرفية للعبارات، والمعاني الضمنية أو المضمرة : ويتم الكشف عنها من خلال ملابسات الخطاب وسياقاته المختلفة(١٤٥).

وكل عملية من عمليات التواصل اللسانيّ يتم التركيز فيها على آليتين هما : آلية التصريح والإظهار، وآلية الإضمار والإخفاء (١٤٦). ويجمع التداوليون على أنَّ الإخبار لا يتم باستخدام آلية التصريح والإظهار فقط، بل يكون بالإضمار والإخفاء أيضًا لوجود العديد من المحظورات التي تمنع المتكلم من التصريح كالدين والأخلاق والعادات والتقاليد والسياسة، كما يلجأ البعض إلى استعمال الأقوال المضمرة حتى لا يجرحوا مشاعر المستمعين(١٤٧).

ويشير "فان ديك" إلى استعمال الأقوال المضمرة بقوله : لقد لاحظنا

مرات عديدة أنَّ لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة ؛ ذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيرًا مباشرًا، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عُبِّر عنها تعبيرٌ سليمٌ(١٤٨).

كما أن الاعتماد على المعاني المعجمية الصريحة والمباشرة للعبارات يؤدي إلى قصور في فهم التأويلات التي تنتج عن هذه العبارات، لذلك على المتكلم أن ينتقل من المعاني المباشرة للألفاظ إلى المعاني الضمنية أو المعاني غير المباشرة، ومراعاة السياق حتى يتمكن من الوصول إلى المعنى المراد من الخطاب(١٤٩).

ويتجلى الإضمار القولي في بعض الآيات التي عالجها الزمخشري معالجة تداولية، على النحو التالي : جاء في الكشاف : " و أُمُّهُ صِدِّيْقَةٌ " أي و ما أمه إلا صديقة كبعض النساء المصدِّقات للأنبياء المؤمنات بهم، فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي، فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم، ثم صرّح بعدهما عما نسب إليهما في قوله تعالى :" كانا يأكلان الطعام " لأنَّ من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم، وغير ذلك مما يدل على أنَّه مصنوع مدبر كغيره من الأجسام(١٥٠).

يتضح من معالجة الزمخشري للنص السابق، في تفسيره لقوله تعالى: " و أُمُّهُ صِدِّيْقَةٌ " أنَّه قد فسَّر الآية من جانب سبق فيه التداوليين ألا وهو الإضمار القولي، فقد توصل الزمخشري عن طريق السياق أن المقصود من (أمه صديقة) أنَّ المسيح عليه السلام مخلوق من البشر، وإن كان ليس له أب، فآدم عليه السلام ليس له أب ولا أم ؛ وهو من البشر ولا خلاف بين الناس في ذلك، فَلِمَاذا الخلاف في عيسى؟، وهو بذلك يكون قد استعمل الإضمار القولي في تفسيره، ولم يحمل القول على ظاهره، إنما راح يبحث وينقب عن مبدأ تداولي مهم، ألا وهو الإضمار القولي، لأنَّ استنتاج الدلالات

في الأقوال المضمرة لا يعتمد على الكفاءة اللغوية وحدها، بل يستدعى استحضار الكفاءة التداولية، فقد حاول الزمخشري الوصول إلى ما وراء النص معرجا على الأسس التداولية في تفسير الآيات، لأنَّ المخاطب عنصر أساس في التخاطب، و مسؤول مسؤولية مباشرة عن تحليل كل الملابسات التي تعترى النصوص(١٥١).

ونلحظ أنَّ الزمخشري كان واعيا للمعالجة التداولية التي كان بصددها، والدليل على ذلك أنه بعدما انتهي من تفسير (و أُمُّهُ صِدِّيْقَةٌ) بالاعتماد على الإضمار القولي، نراه ينتقل إلى تفسير ما بعدها قوله :، ثم صرّح بعدهما عما نسب إليهما في قوله تعالى :" كانا يأكلان الطعام " لأنَّ من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق(١٥٢).

فهو بذلك يبين لقرائه أنه انتهى من الإضمار القولي، وبدأ في التصريح، وإن لم يكن قد استعمل المصطلحات نفسها.

ونستجلي مبدأ الأقوال المضمرة عند الزمخشري في معالجته التداولية لقوله تعالى :" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ " (١٥٣) ؛ فيقول : الضمير في الفعل (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه (١٥٤).

نلحظ أنَّ الزمخشري قد فسَّر الآية السابقة معتمدًا على الإضمار القولي، كما نلحظ اقترابه من التداوليين المحدثين في تفسيره للآية الكريمة مع الأخذ بكل ملابسات السياق، فهو يعتمد في تفسير الضمير على ما ورد في الآيات التالية، حيث يقول : لدلالة ما بعده عليه ؛ وهو بهذا يتفق مع التداوليين في أنَّ ما يميز الضمنيات التداولية أنَّه لا يمكن للمخاطب الوصول إليها إلا عن طريق السياق بالاعتماد على قوانين الخطاب (١٥٥).

الخاتمة

وفي الختام يمكن أنْ نوجز أهم النتائج التي توصل إليها البحث على

النحو التالي:

١- جاءت هذه الدراسة لتأكيد أنَّ المنهج التداوليّ المستخدم في دراسة المبادئ اللسانية في التراث العربيّ ليس القصد من استخدامه هو تأصيل القضايا والأفكار والمفاهيم الموجودة عند اللسانيين المحدثين بقدر ما هو ضروري لبيان الامتدادات المعرفية للمدونة العربية، وتقديم جانب من الأفكار الرائدة التي تناولها العلماء العرب قديما.

٢- يقوم المنهج التداوليّ على دراسة اللغة في علاقاتها بمفسريها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يهتم بالعملية التواصلية وفقا لما يقتضيه السياق ؛ وعليه فإنه يرتكز على بعض الركائز الأساسية في التحليل التداوليّ كالاستلزام المحادثي، وأفعال الكلام، ومتضمنات القول ؛ تلكم المبادئ التي ظهرت جلية في تفسير الزمخشري للآيات القرآنية المباركة.

٣- إنَّ المرجعية الثقافية للزمخشري بوصفه لُغويا، ونَحْويا، ومُفَسْرًا ؛ منحته المقدرة على تفسير الآيات القرآنية وتحليلها تحليلاً تداوليا، وهو ما سهل عملية استجلاء المبادئ التداوليَّة في تفسير الكشاف ؛ وهي (الاستلزام المحادثي، و الأفعال الكلامية، ومتضمنات القول).

٤- حرص الزمخشري على مد التواصل بين المتخاطبين لضمان نجاح عملية التخاطب، حيث صبَّ جلَّ اهتمامه على المُخَاطَب بوصفه متلقيا للنص لتحقيق أعلى مراتب الفهم، ودرجات التلقي والتأثير من خلال ما يُعرف بخرق القواعد الأربع التي ينهض عليها مبدأ التعاون و هي : (قاعدة الكيف قاعدة الكم قاعدة الملاءمة قاعدة الجهة)، وهو أمر يلجأ إليه المتكلم متعمِّدًا من أجل التأثير في المتلقي.

٥- ظهر جليا دور الأفعال الكلامية في تفسير الآيات القرآنية، تلك الأفعال التي تمثل أهم المبادئ التداوليَّة.

٦- تعددت أصناف الفعل الكلامي في تفسير الزمخشري لكثير من الآيات القرآنية ما بين (الإخباريات والتوجيهيات والالتزاميات والتعبيريات والإعلانيات).

٧- تعددت القوة الإنجازية لأفعال التوجهات، في تفسير الزمخشري حسب المقام، وأطراف الخطاب، ولعلَّ أهمها : الاستفهام، والأمر، والنداء.

٨- تعددت القوة الإنجازية لأفعال الالتزاميات وقد تمظهرت في أساليب إنشائية متعددة، كالوعد، والوعيد، والترغيب، والترهيب.

٩- انتبه الزمخشري لمراعاة المبادئ التي يلجأ إليها المتكلم عند إنتاجه للخطاب عندما يودُّ أن يوجز، مستثمرًا السياق الكلاميّ ؛ بالإضافة إلى مراعاة حال المتلقين برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، من خلال اعتماده على مبدأ متضمنات القول، المتمثلة في الافتراض المسبق، والقول المضمر.

الهوامش:

(١) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٥١، هشام عبد الله الخليفة : نظرية الفعل الكلاميّ ص٢٣٠وما بعدها.

(٢) يُنظر : بهاء الدين محمد : تبسيط التداولية ص١٨.

(٣) يُنظر : مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٢٥.

(٤) يُنظر : محمد يونس علي : مقدمة في علمي التخاطب والدلالة ص١٥.

(٥) يُنظر في تفصيل ذلك : أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص٩١.

(٦) من القدماء عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أنْ الأسلوب هو : " الضرب من النظم والطريقة فيه " يُنظر : دلائل الإعجاز ص٤٠، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص٢٠٤.

(٢) يُنظر : الجاحظ : البيان والتبيين : ج١، ص ٧٧

(٧) محمد سويرتي : (اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي) ص٣٠.

(٨) البدراوي زهران : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص ٢٣٨.

(٩) ، محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٥٢، محمود عكاشة : النظرية البراجماتية اللسانية ص٩.

(١٠) طه عبد الرحمن : في أصول الحوار ص ٢٨، أدريس مقبول : الأسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ص ٢٦٢، ينظر : محمد محمود السيد : الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث ص١١.

(١١) محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٥٢، محمود عكاشة : النظرية البراجماتية اللسانية ص٩.

(١٢)يُنظر : المعجم الموحَّد لمصطلحات اللسانيات ص١١١، طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص٢٧ وما بعدها ، محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٩ وما بعدها، مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص١٥، أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية ١٩٨٥م، محمود عكاشة : النظرية البراجماتية اللسانية ص٩، فرانسواز أرمينكو : المقاربة التداولية ص٢٩، ٣٠ ، فليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى

غوفمان ٢٠٠٧م ص١٨ وما بعدها،، آن روبول، جاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص ٢٧ وما بعدها،

(١٣) للمزيد محمود عكاشة : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ص١٥، أدريس مقبول : الأسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ص٢٦٦.

(١٤) نعمان بوقرة : المدارس اللسانية ص١١٨.

(١٥)فليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان ص١٨.

(١٦) مدخل إلى اللسانيات التداولية ص ٤٣، فليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان ص١٨

(١٧) فليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان ص ١٩

(١٨) محمود عكاشة :النظرية البراجماتية اللسانية ص٢٠.

(١٩) محمود عكاشة :النظرية البراجماتية اللسانية ص٢٠.

(٢٠) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٢٥.

(٢١) محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص١٠.

(٢٢) أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص

(٢٣) يُنظر : خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ص١٢٩، محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص١٠.

(٢٤) فرديناند دي سوسير : علم اللغة العام ص٣٣

(٢٥)يُنظر : خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ص١٢٣.

(٢٦)هدسون : علم اللغة الاجتماعي ص١٢.

(٢٧) يُنظر : خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ص١٣٢، محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص١٠.

(٢٨) خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ص١٣٢.

(٢٩) محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص١١.

(٣٠) لقد آثرت استعمال هذا المصطلح الذي ورد عند مسعود صحراوي في كتاب : التداولية عند العلماء العرب ص٣٣.

(٣١) أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٣٣

(٣٢) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٣٣، أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٣٢، صلاح إسماعيل : نظرية المعنى في الفلسفة بول غرايس ص١٦، جواد ختام : التداولية أصولها واتجاهاتها ص٩٨ وما بعدها.

(٣٣) أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٣٣.

(٣٤) حسن بدوح : المحاورة مقاربة تداولية ص١٦٢، أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ص ٢٦ وما بعدها، نور الدين اجعيط عالم الكتب الحديثة، الأردن ٢٠١٢م ٧٦ وما بعدها، مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص ٣٣ وما بعدها.

(٣٥) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٣٤، جواد ختام : التداولية أصولها واتجاهاتها ص ١٠١.

(٣٦) عبد المجيد جحفة : مدخل إلى الدلالة الحديثة ص٣١.

(٣٧)الآية (١٥٧) من سورة النساء.

(٣٨) الزمخشري :الكشاف ص٢٧٠.

(٣٩) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٣٤، جواد ختام : التداولية أصولها واتجاهاتها ص ١٠١.

(٤٠) الآية (١١) من سورة البقرة.

(٤١) الزمخشري :الكشاف ص٤٧.

(٤٢) الزمخشري :الكشاف ص٤٧.

(٤٣)الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

(٤٤) ا الزمخشري :الكشاف ص١٤٧.

(٤٥) عمر ابن كثير القرشي الدمشقي :المصباح المنير في تذهيب تفسير ابن كثير ص١٨٧.

(٤٦) الآية (٢٣، ٢٤) من سورة النازعات.

(٤٧) الزمخشري :الكشاف ص١١٧٧.

(٤٨) مسعود صحراوي : مرجع سابق ص ٣٣، ٣٤، جواد ختام : مرجع سابق ص١٠١ وما بعدها.

(٤٩) الآية (٨١) من سورة النحل

(٥٠) الزمخشري :الكشاف ص ٥٨٠.

(٥١) الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

(٥٢) الزمخشري :الكشاف ص١٥٤.

(٥٣) الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

(٥٤) الزمخشري :الكشاف ص٩٥.

(٥٥) الزمخشري :السابق نفسه

(٥٦) مسعود صحراوي : مرجع سابق ص ٣٣، ٣٤، جواد ختام : مرجع سابق ص١٠١ وما بعدها.

(٥٧) طه عبد الرحمن : اللسان والميزان ص٢٣٢.

(٥٨) جواد ختام : مرجع سابق ص١٠٢ وما بعدها.

(٥٩) الآية (٦٧) من سورة البقرة.

(٦٠) الزمخشري :الكشاف ص٨٠

(٦١) الأعراف الآية ١٢.

(٦٢) الزمخشري :الكشاف ص ٣٥٧.

(٦٣) طه عبد الرحمن : اللسان والميزان ص ٢٣٢، أحمد نحلة : فاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٣٦ وما بعدها.

(٦٤) جواد ختام : مرجع سابق ص١٠٢ وما بعدها، مسعود صحراوي : مرجع سابق ص ٣٤ وما بعدها.

(٦٥) الآية (٩٠) من سورة يونس.

(٦٦) الزمخشري :الكشاف ص٤٧٢.

(٦٧) الآية رقم (٥) من سورة الفاتحة.

(٦٨) الآية رقم (٦٤) من سورة الزمر.

(٦٩) الآية رقم (١٦٤) من سورة الأنعام

(٧٠) الزمخشري :الكشاف ص٢٨.

(٧١) السكاكي : مفتاح العلوم ١٠١/١، الجرجاني :دلائل الإعجاز ١٠٦/١.

(٧٢) محمد يونس على : المعنى وظلال المعنى ص١٥٥.

(٧٣) إدريس سرحان : التأويل الدلالي التداولي للملفوظات ص١٢٤.

(74) Austin,J.L. How to do Things With Words.London : Oxford university Press.1962.

(٧٥) أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٦٠، جواد ختام : التداولية أصولها واتجاهاتها ص٨٢ وما بعدها، خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية ص٩٠، صبري إبراهيم السيد : علم الدلالة إطار جديد ص٢١١.

(٧٦) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٤٠

(٧٧) أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام ص ١٢١ ، جواد ختام : التداولية أصولها واتجاهاتها ص٨٦، فرنسوازأرمينكو المقاربة التداولية ص٦٢

(٧٨) أي الهيئة التركيبية لهذه الجملة بأصواتها التي نطقت بها، وبتركيبها النحوي السايم، وبمعناها الحرفي.

(٧٩) أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٦٨.

(80)(Allen,J.P.B) and (Corder,S.P. Readings for applied linguistics. London. Oxford university Press.1978. p 44 ,

(٨١) أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة ص ١٧٥ إلى ص١٨٣.

(82) Searle,J.R , Speech Acts An Essay in the philosophy of language. London : Cambridge university Press. p 224

(83) (Searle.Expression and Meaning. Studies in the Theory of Speech Acts ,.p 2

(٨٤) السابق نفسه ص٣٠، أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٨٠.

(٨٥) فليب بلانشيه :التداولية من أوستن إلى غوفمان ص٦٦

(٨٦) الآية (٢) من سورة البقرة.

(٨٧) عيسى تومي : الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني ص ٣٦.

(٨٨) الزمخشري :الكشاف ص٣٧.

(٨٩) الآية (٥) من سورة البقرة.
(٩٠) عيسى تومي : الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني ص ٣٧.
(٩١) فليب بلانشيه :التداولية من أوستن إلى غوفمان ص٦٦، عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ص ١٤ وما بعدها.
(٩٢) الغزالي : المستصفى ص ٣٩٦، أوستين : نظرية أفعال الكلام ص٩١.
(٩٣) الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.
(٩٤) الزمخشري :الكشاف ص١٣٥.
(٩٥) الآية (١) من سورة الشرح.
(٩٦) الزمخشري :الكشاف١٢١٠.
(٩٧) عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ص١٦ وما بعدها.
(٩٨) عيسى تومي : الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني ص٤٦.
(٩٩) الزمخشري :الكشاف١٢١٠.
(١٠٠)الآية رقم (٣٢) من سورة الزخرف، الزمخشري :الكشاف ص٩٨٩.
(١٠١) الآية (٨٧) من سورة هود، الزمخشري :الكشاف ص ٤٩٤.
(١٠٢) عباس حسن : النحو الوافي ١/٤، عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ص١٧، عبد الهادي بن ظافر : استراتيجيات الخطاب ص ٣٦٠
(١٠٣) ينظر : أحمد محمد فارس : النداء في اللغة والقرآن ص ١٣٦.
(١٠٤)الآية (٢١) من سورة البقرة.
(١٠٥) الزمخشري :الكشاف ص ٥٦.
(١٠٦) عيسى تومي : الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني ص٤١.
(١٠٧) أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص١٠٤، فليب بلانشيه :التداولية من أوستن إلى غوفمان ص٦٦.
(١٠٨) الآية (٢٥) من سورة البقرة.
(١٠٩) الزمخشري :الكشاف ص٦٢.
(١١٠) الزمخشري :الكشاف ص ٦٢.
(١١١)الآية (٧) من سورة القصص

(١١٢) الزمخشري :الكشاف ص٧٩٤.

(١١٣)الآية (٩٧) من سورة مريم.

(١١٤) الزمخشري :الكشاف ص٦٤٩.

(١١٥) الزمخشري :الكشاف ص٦٤٩.

(١١٦) هشام بن عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي ص ١٢٦، أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص١٠٤.

(١١٧)الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

(١١٨)الزمخشري :الكشاف ص١٤٦.

(١١٩) آمنة بعلي : الإقناع المنهج الأمثل للحوار في القرآن الكريم ص٢١٦.

(١٢٠) جمال الدين بن الحاجب : الكافية ٣٠٧/٢.

(١٢١) الشريف الجرجاني : التعريفات ص٦٢.

(١٢٢) الرضي الإستراباذي : شرح الكافية ٣٠٧/٢

(١٢٣) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص ١٦١

(١٢٤)الآية (٤٢) من سورة الكهف.

(١٢٥)الزمخشري :الكشاف ص٦٢١.

(١٢٦)الزمخشري :الكشاف ص٦٢١.

(١٢٧) أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٥٠، فليب بلانشيه :التداولية من أوستن إلى غوفمان ص٦٦.

(١٢٨)الآية (٥٢) من سورة البقرة.

(١٢٩)الزمخشري :الكشاف ص ٧٦..

(١٣٠) عبد الهادي بن ظافر البشري : استراتيجيات الخطاب ص ١٣٨.

(١٣١) مسعود صحراوي : مرجع سابق ص ٣٠.

(١٣٢) مسعود صحراوي : مرجع سابق ص ٣٠.

(١٣٣) جورج يول : التداولية ص ٥١، قدور عمران : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ص٦٨.

(١٣٤) ذهيبة حمو الحاج : التداولية واستراتيجية التواصل ص١٣٦.

(١٣٥) الآية (٩٢) من سورة النساء

(١٣٦) الزمخشري :الكشاف ص٢٥٣.

(١٣٧) ينظر : مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين ص١١٨.

(١٣٨) الآية (٥) من سورة يس

(١٣٩) الزمخشري :الكشاف ص٨٩٠، إعراب القرآن : ابن النحاس ص٢٥٩.

(١٤٠) الآية (٨٠) من سورة البقرة.

(١٤١) الزمخشري :الكشاف ص٨٤.

(١٤٢) مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين ص١١٨.

(١٤٣) مسعود صحراوي : مرجع سابق ص ٣٢.

(١٤٤) طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص١٤٦.

(١٤٥) ينظر : مرتضى جبار كاظم : اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني ص٧٥.

(١٤٦) ماري ان بافو، جورج اليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية ص٣٧٨. فليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان ص ١١٧.

(١٤٧) عمر بلخير : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ص١١١.

(١٤٨) فان ديك : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ ص١٥٦.

(١٤٩) حسن بدوح : المحاورة مقاربة تداولية ص٣٨.

(١٥٠) الزمخشري :الكشاف ص٣٠٣.

(١٥١) حسن بدوح : المحاورة مقاربة تداولية ص ٣٢ وما بعدها.

(١٥٢) الزمخشري :الكشاف ص٣٠٣.

(١٥٣) الآية رقم (١٤) من سورة الروم.

(١٥٤) الزمخشري :الكشاف ص٣٠٣.

(١٥٥) فريدة موساوي : المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي لمعلقتي عمرو بن كلثوم،والحارث بن حلزة ص٢٤.

المصادر والمراجع

- أحمد المتوكل
  اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان ٢٠١٠م
  الوظائف التداولية في اللغة العربية دار الثقافة الدار البيضاء ط١ ١٩٨٥م.
- أحمد محمد فارس : النداء في اللغة والقرآن دار الفكر اللبناني ط١ ١٩٨٩م.
- أحمد مختار عمر: علم الدلالة عالم الكتب ط٥ ١٩٩٩م.
- إدريس حمادي : الخطاب الشرعي وطرق استثماره المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٤م.
- إدريس سرحان : التأويل الدلالي التداولي للملفوظات بحث منشور ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)
- إدريس مقبول : الأسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه عالم الكتب الحديث جدار الكتاب العالمي الأردن ٢٠٠٦م
- آمنة بعلي : الإقناع المنهج الأمثل للحوار في القرآن الكريم مجلة التراث العربي دمشق ع٨٩.
- البدراوي زهران : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني دار المعارف القاهرة ١٩٨٧م.
- بهاء الدين محمد : تبسيط التداولية شمس للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ٢٠١٠م.

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبيان ط٥ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٥م
- عليه : خليل مأمون شيحا دار المعرفة بيروت لبنان ط٣ ١٤٣٠ه / ٢٠٠٩م.
- جواد ختام : التداولية أصولها واتجاهاتها دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ط١ ٢٠١٦م.
- حافظ إسماعيليّ علويّ : التداوليات علم استعمال اللغة عالم الكتب الحديث إربد الأردن ٢٠١١م.
- حسن بدوح : المحاورة مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث الأردن ٢٠١٢م
- خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة ط١ ٢٠٠٩م.
- ذهيبة حمو الحاج : التداولية واستراتيجية التواصل دار الأمل ط٢ ٢٠١٥م.
- الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) : تفسير الكشاف اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلَّق
- صبري إبراهيم السيد : علم الدلالة إطار جديد دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط١ ١٩٩٥م.
- صلاح إسماعيل : نظرية المعنى في الفلسفة بول غرايس دار القباء الحديثة ط١ ٢٠٠٧م.
- طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط١ ١٩٩٨م.

- عباس حسن : النحو الوافي دار المعارف القاهرة ط١١ د.ت.
- عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي مكتبة الخانجي القاهرة ط٥ ٢٠٠م.
- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني : دلائل الإعجاز تحقيق : محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي د.ت.
- عبد الله صوله : في نظريَّة الحجاج دراسات وتطبيقات مسكيلياني للنشر والتوزيع تونس ط ٢٠١١م.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد بدون.
- على بن محمد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات المحقق محمد صديق المنشاوي دار المعارف د.ت.
- عمر ابن كثير القرشي الدمشقي :المصباح المنير في تذهيب تفسير ابن كثير دار طيبة للتوزيع والنشر الرياض ٢٠٠٠م.
- عمر بلخير : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية منشورات الاختلاف ط١.
- الغزالي : المستصفى من علم الأصول تحقيق : حمزة بن زهير حافظ شركة المدينة المنورة للطباعة بدون.
- فريدة موساوي : المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي لمعلقتي عمرو بن كلثوم،والحارث بن حلزة.
- قدور عمران : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل عالم الكتب الحديث أربد ط١ ٢٠١٢م

- محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠٢م.
- محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي : شرح الرضي لكافية بن الحاجب تحقيق : حسن بن محمد بن إبراهيم،ويحي إبراهيم مصطفى الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٦٦م.
- محمد سويرتي : مقال بعنوان (اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي) مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت مجلد ٢٨ عدد٣ (يناير مارس) ٢٠٠٠ م.
- محمد محمود السيد : الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث مكتبة دار الفكر العربي القاهرة ٢٠١٠م.
- محمد يونس على : المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية دار المدار الإسلامي لبنان بيروت
- محمود عكاشة :

تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دار النشر للجامعات ٢٠١٤م.

النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ مكتبة الآداب القاهرة ط١ ٢٠١٣م.

- مرتضى جبار كاظم : اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني مكتبة عدنان ط١ ٢٠١٥م.
- مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب دار الطليعة بيروت ٢٠٠٥ م.
- نعمان بوقرة : المدارس اللسانية مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٤م.

- نور الدين اجعيط عالم الكتب الحديثة، الأردن ٢٠١٢م.
- هدسون : علم اللغة الاجتماعي ترجمة :محمود عياد عالم الكتب ١٩٩٠م.
- هشام بن عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي و الإسلامي مكتبة لبنان ناشرون لبنان بيروت ٢٠٠٧م.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن على السكاكي : مفتاح العلوم تحقيق : نعيم زرزور مكتبة الخانجي د.ت.

الكتب المترجمة

- آن روبول، جاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة : د/ سيف الدين دغفوس وآخرين دار الطباعة للطباعة والنشر بيروت ط١ ٢٠٠٣م.
- أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام ترجمة : عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق المغرب ١٩٩١م.
- جورج يول : التداولية ترجمة : قصي العتابي الدار العربية للعلوم ناشرون ط١ ٢٠١٠م
- فان ديك : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ ترجمة : عبد القادر قنيني المغرب افريقيا الشرق د.ت.
- فردينان دي سوسير : علم اللغة العام ترجمة : د.يوئيل يوسف عزيز دار آفاق العربية ١٩٨٥ م.
- فرنسوازأرمينكو المقاربة التداولية ترجمة: د. سعيد علوش مركز الإنماء القومي بدون.

- فليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان ترجمة : صابر الحباشة دار الحوار للنشر والتوزيع ط١ ٢٠٠٧م.
- ماري ان بافو، جورج اليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية ترجمة : محمد الراضي المنظمة العربية للترجمة مركز دراسات الوحدة العربية ط١ بيروت لبنان ٢٠١٢م.

المراجع الأجنبية

1- Austin,J.L. How to do Things With Words.London : Oxford university Press.1962.

2- Searle,J.R , Speech Acts An Essay in the philosophy of language. London : Cambridge university Press 1969.

3- Searle.Expression and Meaning. Studies in the Theory of Speech Acts ,Cambridge University Press.1981.